Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 10, Mar. 2018

Published on Web 01/3/2018

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول ـ العدد العاشر، مارس 2018م

الفواصل القرآنية

التناسب الإيقاعي والوفاء بحق المعنى

د. رافع محمد بيت المال

مقدمة:

تظهر أهميّة الفواصل القرآنيّة في أنها أضفتْ على الأسلوب القرآني قوّة وتماسكاً عن طريق انسياب النغم، وانسجام اللفظ في الآيات، ومساوقته مع المعاني قوّة ولیناً، مما أثّر في نفوس المتلقّين، قال ابن قتيبة: "وجعله متلوّاً، لا يُمَلّ على طول التلاوة، ومسموعاً لا تمجّه الآذان، وغضاً لا يخلق من كثرة الردّ، وعجيباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقطع فوائده" (1).

وقد علّق محمد زغلول سلاّم على نص ابن قتيبة ـ سالف الذكر ـ بقوله: "وكأنه يعبّر بلسان العصر عما توصّل إليه علماء الجمال اليوم في الإحساس الصوتي بالجمال، وكيفيّة اعتماده على انسجام في تردد رتيب، لا تملّه الآذان، متّسق مع ما ينبعث في النفس من هزات داخلية" (2).

إن الفاصلة في القرآن الكريم لم تكن مجرّد حلية لفظية، وإنما كانت ضرورة اقتضاها المعنى وألحّ في طلبها، ذكر السيوطي – نقلاً عن الزمخشري: "قال الزمخشري في كشافه القديم (3): لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجرّدها إلا مع بقاء المعاني على سردها، على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والقوافي، فأما أن تهمل المعاني ويهتمّ بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه فليس من قبيل البلاغة، وبنى على ذلك أن التقديم في ﴿...وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ (4) ليس لمجرّد الفاصلة بل لرعاية الاختصاص" (5).

وقد أشار الرماني إلى فائدة من فوائد الفواصل وهي "دلالتها على المقاطع" (6)، وهي الأماكن التي يحسن قطع الصوت عندها.

وقال السخاوي: "فإن هذه الفواصل إنما أُنزل القرآن بها ليُوقف عليها وتقابل بأختها، وإلا فما المراد بها" (7).

ويمكن القول إن الفاصلة القرآنية تؤدي وظيفتين، وتحقق فائدتين؛ فائدة صوتية إيقاعيّة، تعزز الانسجام الموسيقي، وفائدة معنويّة، تراعي ما يقتضيه التعبير والمعنى (8).

تعريف الفاصلة:

قال الرماني: "الفواصل حروف متشابكة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني" [9].

ولم يبعد الباقلاني عن ذلك فقال: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني" [10].

وعرّفها الزركشي بأنها: "آخر كلمة في الآية، كالقافية في الشعر، وقرينة السجع في النثر" [11]

وذكر محمد الحسناوي مجموعة من المناقشات والاعتراضات التي يمكن أن تَرِد على مفهوم الفاصلة، وخرج من مجموع تلك المفاهيم بما يمكن أن يشكّل مواضع اتفاق بينها، ممثلة في الآتي:

1. أن موقع الفاصلة آخر الآية.
2. التشاكل وليس بالضرورة التماثل في الحروف والمقاطع.
3. دورها في تحسين المعاني.
4. توضيحها مقارنة بالقافية أو السجع أو الاثنين معاً.

وخلص في النهاية إلى تعريف للفاصلة، فقال: "وبوسعنا أن نخرج الآن بتعريف للفاصلة، جامع مانع، مع شيء من التوفيق والتدقيق، فنقول: الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر. والتفصيل: توافق أواخر الآي في حروف الرويّ، أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النفوس" [12].

وسميت الفاصلة بهذا الاسم؛ "لأنه ينفصل عندها الكلامان، ذلك أنها تفصل الآية التي تقع فيها عما بعدها" [13]، وعلى ذلك يكون قد أخذ اسمها من عملها.

وقد تكون هذه التسمية اقتبستْ من قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [14].

ومهما يكن من خلاف في تحديد مفهوم الفاصلة، وضبط العلماء لهذا الاصطلاح فإنهم مجمعون على وجودها وأنها "ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة المعالم، بها انفرد القرآن من النثر والشعر معاً، وهي من أبرز الخصائص التي جعلته نحواً جديداً من أنحاء البيان، وطريقاً فريداً من طرق التعبير" [15].

العلاقة بين الفاصلة ورأس الآية:

يعتبر مصطلحا (الفاصلة) و (رأس الآية) من المصطلحات القديمة التي يصعب تبيّن الأسبقيّة الزمنيّة لأيهما تكون، وإن كان بعض الدارسين يرى أن الرماني هو منْ سمى نهايات الآيات فواصل، وسمّاها الفراء من قبلُ رؤوس الآيات، وتبعه في ذلك الزجاج (16)، واعتُرض عليهم بأن الفراء استخدم مصطلح الفاصلة إلى جوار رؤوس الآيات (17). وعليه فمن الصعب حسم الأسبقيّة الزمنية لأحد هذين المصطلحين، ثم إني لا أرى كبير فائدة تعود على البحث من تتبّع هذه القضيّة، ولذا اكتفيتُ بالإشارة إليها دون إصرار على حسمها.

ويظهر الفرق بين الفاصلة ورأس الآية من تعريف الداني للفاصلة، حيث يعرفها بأنها: "كلمة آخر الجملة" (18)، فقوله: (آخر الجملة)، بدل (آخر الآية)، يشي بالفرق؛ لاحتمال أن يكون في الآية أكثر من جملة، ثم صرّح بالفرّق بين الفواصل ورؤوس الآي، قائلاً: "أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية، وغير رأس آية، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين، وتجمع الضربين" (19).

أشار السيوطي إلى أن ابن الصائغ (20) قد ألف في تناسب الفواصل القرآنية كتاباً أسماه: (إحكام الراي في أحكام الآي) جاء فيه: "اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول، وقد تتبعتُ الأحكام التي وقعت في أواخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرتُ منها على نيف عن الأربعين حكماً..." (21)

وبتتبع الأحكام التي أوردها ابن الصائغ في كتابه يمكن إدراج كل طائفة منها تحت التقسيم الآتي:

تناسب الفواصل واختيار الألفاظ

إذا كان الله سبحانه قد اختار للقرآن ترتيلاً تبدو فيه نغمة ألفاظه ورنينها وحسنها، فلا بد أن تكون ألفاظه قد اختيرت لمزية في كل كلمة، لا في مجموعها ونظمها فحسب، وهذا الحكم ينطبق على سائر ألفاظ القرآن، لكنه أظهر في الكلمات التي تقع في فواصل الآيات؛ "فهذه أولى بالعناية لأنها تجمع بين الوظيفتين: المعنوية والإيقاعية، وبلاغة الكلام تقتضي أن يراعى في اختيارها أن تكون قادرة على الوفاء بحق المعنى، وحق التناسب الإيقاعي في آن واحد، وبلاغة القرآن المعجزة تظهر في جملة ما تظهر فيه في اختيار

الكلمة المناسبة لهذين الغرضين" [22]. من ذلك التوسع في استعمال أبنية المصادر، فقد أتاحت مرونة العربية التنوّع في استعمال اللفظ المشتق من أصل واحد، الأمر الذي أتاح تنوعاً رهيباً في القرآن كله، وكان له خصوصية في الفواصل، تعانق فيها المعنوي والإيقاعي، من ذلك استعمال القرآن لمصادر الفعل (خَسِر) فقد استعمل بصيغ مختلفة في نصوص متفرقة من الذكر الحكيم منها:

(الخُسر)، قال تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ ﴾ [23]، وقوله: ﴿ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرٗا ۝٩ ﴾ [24].

(الخَسَار)، قال تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ۝٢١ ﴾ [25].

(الخُسران)، قال تعالى: ﴿... وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ۝١١٩ ﴾ [26].

لقد تنوّع مصدر الفعل (خسر) في الآيات السالفة مراعاة للمعنى وتناسباً مع الفاصلة، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن الكريم.

ومما يلحق بهذا القسم أيضاً – تناسب الفواصل واختيار الألفاظ – إقامة صيغة مقام أخرى للتناسب، من ذلك مثلاً ما قام مقام فاعل في فواصل القرآن، وقد جاء على صيغ كثيرة منها:

(مفعول): ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ۝٤٥ ﴾ [27]؛ أي: حجاباً ساتراً. ومنه أيضاً: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١ ﴾ [28]؛ أي: آتياً.

(فعيل): ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ ...﴾ [29]؛ أي: حافظاً.

(المصدر): يأتي المصدر في الفاصلة بمعنى فاعل من أوزان متعددة أهمها:

أ.فعْل: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ ﴾ [30]؛ أي:

ذات المطر الراجع في كل عام، وذات النبات الشاق للأرض الصادع لها [31].

ب.فعَل: ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ [32]؛ فـ(عجباً) مصدر وضع موضع العجيب للمبالغة [33].

هذه بعض الشواهد مما ورد في القرآن من إقامة صيغة مقام أخرى للفواصل "وهي توضح أن مخالفة المباني للمعاني في الأسلوب القرآني تأتي لأغراض معنوية، وللتناسب الإيقاعي، وبذلك يجمع بين الوفاء بحق المعنى وحق الصياغة اللفظية وحسن التعبير. ولا شك في أن اختيار مثل هذه الكلمات التي تجمع باعتدال بين الأغراض المذكورة ركن هام في بلاغة القرآن وبديع نظمه" [34].

تناسب الفواصل والخروج عن مقتضى الظاهر:

قال الزركشي: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكدٌ جداً، ومؤثرٌ في اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع" [35].

بتتبّع الشواهد التي نقلها السيوطي عن ابن الصائغ يمكن استعراض بعضها مما يصلح أن يكون تحت العنوان الذي صُدرتْ به هذه الفقرة، من ذلك:

1.الاستغناء بالإفراد عن التثنية نحو: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝١١٧﴾ [36]، أفرد الضمير في الفعل (تشقى) ولم يشاكله في الإسناد بالفعل قبله، وقد ذكر المفسرون في ذلك – علاوة على رعاية الفاصلة – أقوالاً:

* أسند ترتيب الشقاء إلى آدم خاصة دون زوجه إيجازاً؛ لأن في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر، مع الإيماء إلى أن شقاء الذكر أصل شقاء المرأة [37].

* المراد بالشقاء: التعب في تحصيل مبادئ المعاش، وهو من وظائف الرجال واقتصر على شقائه؛ لأن الرجل يسعى على زوجته [38].

* خُص آدم بقوله: ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴾؛ لأنه كان المخاطب أولاً والمقصود بالكلام، "وقيل لأن الشقاء في

معيشة الدنيا مختص بالرجال" [39].

2.الاستغناء بالإفراد عن الجمع، نحو: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [40]، فلم يقل (أئمة) وهو مقتضى الظاهر؛ ليشاكل ضمير المفعول من (واجعلنا) من حيث الجمع والعدد، وعلاوة على ما في الخروج عن مقتضى الظاهر من مناسبة للفواصل فإن ثمة ملامح أخرى اهتدى إليها المفسرون تفسر هذا العدول منها:

* أُفرد (إماماً) مع لزوم المطابقة؛ لأنه اسم جنس فيجوز إطلاقه على المعنى مجازاً بتجريده من قيد الوحدة [41].

* أنه؛ أي: إماماً "في الأصل مصدر، وهو لكونه موضوعاً للماهية شامل للقليل والكثير وضعاً، فإذا نقل لغيره قد يراعى أصله" [42].

* وقد يكون المراد على معنى: اجعل كل واحد منا إماماً [43].

* "أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلماتهم" [44].

3.الاستغناء بالتثنية عن الإفراد، نحو: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [45][46].

4.العدول عن صيغة المضي إلى صيغة الاستقبال، نحو: ﴿فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾ [47].

حيث لم يقل: وفريقاً قتلتم، فلم يسو بين الزمانين، وعلاوة على ما يحققه هذا العدول من تناسب لفظي ومراعاة للفاصلة فإن له أسراراً فطن إلى بعضها الزمخشري قائلاً: "فإن قلتَ: هلا قيل وفريقاً قتلتم؟ قلتُ: هو على وجهين: أن تراد الحال الماضية؛ لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب، وأن يراد: وفريقاً تقتلونهم بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد . صلى الله عليه وسلم . لولا أني أعصمه منكم، ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة" [48].

هذه جملة من الأحكام التي أوردها ابن الصائغ أمثلة لما وقع في القرآن من مخالفة الأصول مراعاة لتناسب الفواصل، ويظهر من تلك الأحكام أن القرآن يخص الكلمات الواقعة فاصلة بالعناية، فيراعى في اختيارها أن تكون صالحة لأداء المعنى المراد، ولتناسب الفواصل في الآن نفسه.

وقد فطن ابن الصائغ إلى هذه الحقيقة فقال في ختام كلامه: "ولا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم – كما جاء في الأثر – لا تنقضي عجائبه" (49).

تناسب الفواصل واختيار التركيب:

تصادف الباحث في كتب التفسير وفي مصادر الدراسات القرآنية إشارات كثيرة إلى تأثر تركيب الآية أو الجزء الأخير منها بمراعاة تناسب الفواصل، كما يصادف التأكيد فيها على أن التناسب في ذلك أمر مقصود في النظم القرآني، وأن مراعاة ذلك يقضي بالعدول عن التركيب العادي إلى تراكيب أخرى تجمع بين الوفاء بحق المعنى، وحق التناسب الإيقاعي، وفي ذلك تظهر قيمة السعة والمرونة والدقة التي تميّز نظام تركيب الجملة في اللغة العربية.

إن الأمثلة على تصرّف القرآن في تركيب الآيات مراعاة لتناسب الفواصل كثيرة جداً، وسنعرض في هذا المقام لبعض النماذج والشواهد التي تشكل ظواهر في النص القرآني منها:

1. التقديم والتأخير

تتخذ الجملة العربية من حيث الترتيب نمطاً معهوداً؛ فيكون للمسند (الفعل) رتبة التقديم في الجملة الفعلية، في حين يكون للمسند إليه (الفاعل) رتبة التأخير عن المسند في القالب نفسه؛ أعني: الجملة الفعلية، ثم يأتي متأخراً قيد المفعول به عن المسند إليه، وعليه يكون الترتيب النمطي الجاري على الأصل للجملة الفعلية هو:

الفعل + الفاعل + المفعول به

أما في قالب الاسمية فيكون الأمر على العكس من هذا الترتيب؛ حيث يتخذ المسند إليه (المبتدأ) رتبة التقديم، وتكون رتبة المسند (الخبر) التأخير، ويكون عندئذ الترتيب النمطي الجاري على الأصل وما يقتضيه الظاهر للجملة الاسمية على هذا النحو:

المبتـــــدأ + الخـــــــبر.

هذا هو الأصل والقياس في ترتيب الجملة العربية، فما جاء على هذا الترتيب لا يسأل عنه؛ لأنه جاء على الأصل، وما جاء على أصله لا يسأل عنه، أما إذا خولف هذا الترتيب فإنه يمثّل – والحالة هذه

– مثيراً أسلوبياً؛ لخروجه عن مقتضى الظاهر [50]، من هنا كان لهذا العدول غرضه البلاغي وقيمته الفنية، لا سيما في الفواصل؛ من جهة الوفاء بحق المعنى، والتناسب الإيقاعي للفواصل.

ولذلك شواهد كثيرة في كتاب الله تعالى، نورد بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

* تقديم المعمول على العامل، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [51]، قال الزمخشري: "وتقديم المفعول لقصد الاختصاص" [52]، وقد جاء في تعليق المحقق [53] على قول الزمخشري: "وحق المفعول أن يكون بعد الفاعل؛ لأن ترتيب الجملة الفعلية: فعل وفاعل ومفعول؛ لاتصاق الفعل بفاعله، ثم تأتي المفاعيل التي يقع عليها فعل الفاعل.

وبهذا يكون التقديم من هذا المقام الأصلي له لفائدة كالاختصاص والاهتمام وغير ذلك" [54].

2. الحذف والذكر:

تتخذ اللغة الفنية في الأسلوب العربي أدوات متنوعة تسلك من خلالها تقنيات تعين مستخدم اللغة لإبراز مراده وتحقيق غرضه؛ للوصول للمطابقة التي يتغيّاها صاحب النص، وتمثّل هذه الصورة (الحذف والذكر) من صور التنويع في بناء الجملة ظاهرة واضحة المعالم في الأسلوب العربي، لا سيما في البيان القرآني، فبه؛ أي: بالحذف لا يكون النص "بثاً مباشراً أو إفضاء صريحاً بالمعنى الكامن فيه، ولكنه لون من التظليل والغموض الشفيف الذي يثير ذهن المتلقي ويحرك خياله... وهو بذلك يحقق المتعة الفنية للمتلقي؛ إذ إنه ينقله من سلبية الأخذ والتلقي إلى إيجابية الحدس والتخيل" [55].

من هذا المنطلق يشيد عبد القاهر بأسلوب الحذف فيقول: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فأنت ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبِن..." [56].

والذي يعنينا في هذا السياق هو عرض أنموذج للحذف في الفواصل على سبيل المثال، وإلا فإن شواهده في القرآن كثيرة جداً، والمثال الذي نعرضه هو قول الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [57]، يذكر البلاغيون أن مفعول الفعل (قلى) محذوف لرعاية الفاصلة والتوافق الصوتي مع آخر الآيات قبلها وبعدها [58].

وتلحظ عائشة عبد الرحمن ملحظاً دقيقاً بحق حذف المفعول، وترى أن الحذف يحقق – فوق ذلك – غرضاً معنوياً، فالآية تنفي التوديع والقلى، أي: الهجر والبغض، فالله عز وجل يطمئن نبيه – صلى الله عليه وسلم – بعد فترة انقطاع الوحي بأنه لم يهجره أو يبغضه كما زعم ذلك أعداؤه من الكفار حين حدثت تلك الفترة.

ولما كان هناك فارق دلالي بين الهجر والبغض (59) جاءت الآية الكريمة مراعية ذلك، حيث ذكرت ضميره – صلى الله عليه وسلم – في جانب نفي الهجر ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ ولم تذكره في جانب نفي البغض ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ إعلاء لشأنه – صلى الله عليه وسلم – أن يذكر ضميره في جانب المقت والكره حتى لو كان هذا الجانب منفياً (60).

تناسب الفواصل والوفاء بحق المعنى:

من أهم الخصائص التي تميّز القرآن من كل كلام بليغ أنه يجمع في كل معنى يطرقه بين الوفاء بحق المعنى وحق الصياغة وتناسب الفواصل.

وتأتي الفاصلة التي هي جزء من الآية جامعة بين محاسن الصياغة وبلاغة المعنى بإحكام، ولا يليق القول: إن القرآن يختار الكلمة أو الأسلوب أو العبارة مراعاة لتناسب الفواصل فحسب، ولا لبلاغة المعنى فقط، بل الذي يليق بكماله وجلاله أن يقال: إنه يختار ما يختار من ذلك لأنه الأبلغ في موضعه، والأوفق في نسقه.

وتأتي الفاصلة في القرآن مستقرة في مكانها، مطمئنة في موضعها، غير نابية ولا قلقة، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها، بحيث لو طرحت لاختلّ المعنى.

وقد يشتد تمكّن الفاصلة في مكانها، حتى لتوحي الآيات بها قبل نطقها، كما روي عن زيد بن ثابت أنه قال: أملى عليّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذه الآية:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا...﴾ (61)، وهنا قال معاذ بن جبل: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ (62)،

فضحك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال له معاذ: مم ضحكت يا رسول الله؟ قال: بها ختمت (63).

ولشدّة إحكام الفواصل فإن ذا الذوق السليم والحسّ اللغوي يأبى قبول الفاصلة والاطمئنان إليها إذا غُيّرتْ وأُبدل بها سواها، كما حكي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: (فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم)، ولم يكن يقرأ القرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله فلا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغراء عليه (64). والآية إنما ختمت بقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ (65).

قال الزركشي: "اعلم أن المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله. فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن الكريم لا تخرج عن ذلك" (66).

تأتي الفاصلة القرآنية متمكنة في موقعها، مستقرة في مكانها، يتعلّق معناها بمعنى الآية بحيث لو طرحت أو غُيّرتْ اختلّ المعنى (67) وفسد النظم؛ لأنها لم تكن مجرد حلية لفظية، بل جزء أصيل من البناء المحكم للعبارة، إن لم تكن حجر الزاوية في ذلك البناء (68).

وقد عُني العلماء بإظهار طرق الارتباط المعنوي في الفواصل القرآنية، فأوضحوا أنه ينحصر في أربعة أوجه هي: التمكين، والتوشيح، والإيغال، والتصدير (69).

أولاً: التمكين:

التمكين من مكُن مكانه فهو مكين، وتمكّن بالمكان أي ثبت فيه، وسمّي بـ(ائتلاف القافية) (70)، "وهو أن يُمهد قبلها تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها، مستقرّة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافذة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلّقاً تاماً؛ بحيث لو طُرحتْ اختلّ المعنى واضطرب الفهم" (71).

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّٗا عَزِيزٗا ٢٥﴾ (72).

إن الكلام لو اقتصر فيه على قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾ لأوهم ذلك بعضَ الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم، ولم يبلغوا ما أرادوا، وأن ذلك أمر اتفاقي، فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلِّم المؤمنين، ويزيدهم يقيناً وإيماناً على أنه الغالب الممتنع، وأن حزبه كذلك، وأن تلك الريح التي هبّتْ ليست اتفاقاً؛ بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه كعادته (73).

ثانياً: التوشيح:

التوشيح من الوشاح، وهو حلي النساء من لؤلؤ وجوهر تتوشّح المرأة به: تلبسه (74)، ويُسمّى به لكون نفس الكلام يدل على آخره؛ نُزل المعنى منزلة الوشاح، ونُزل أوّل الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح، اللذيْن يحول عليهما الوشاح، ولهذا قيل فيه: إن الفاصلة تُعلَم قبل ذكرها (75).

ومن شواهده قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ (76).

ومن شواهد التوشيح أيضاً قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ (77)، قال الزركشي: "فإنه من كان حافظاً لهذه السورة، متيقظاً إلى أن مقاطع فواصلها النون المردفة، وسمع في صدر هذه الآية: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ علم أن الفاصلة ﴿مُّظۡلِمُونَ﴾؛ فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال" (78).

ثالثاً: الإيغال

الإيغال من وغل في الشيء وغُولاً: دخل فيه وتوارى. ووغل: ذهب وأبعد، يقال: أوغل في الأرض الفلانية، إذا بلغ منتهاها؛ فهكذا المتكلّم إذا تمّ معناه ثم تعدّاه بزيادة فيه فقد أوغل.

والإيغال هو ختم الكلام نثراً كان أو نظماً بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها (79).

وقد اعترض بعض الدارسين على قيد (يتم المعنى بدونها) الوارد في التعريف اللهم إلا إذا كان المقصود بذلك المعنى النحوي، على نحو ما يطالعنا في قول الحق سبحانه: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ (80)، فعند كلمة ﴿أَجْرًا﴾ يكون تمام الجملة النحوية (الفعل والفاعل والمفعول)، " ولا شك أن تلك نظرة نحوية صرفة لا تخلو . مع التسليم بصحتها . من قصور، فالمعنى الذي ينبغي أن يهتم برصده البحث البلاغي ليس هو المعنى النحوي، وإنما هو المعنى الذي يعنيه المتكلم ويقصده، وهو ما لم يتم في العبارة القرآنية... ومن العبث أن نزعم أن جملة ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ هي من الإيغال الذي يتم المعنى قبله، فهداية الرسل هي خيط أصيل في نسيج المعنى الذي قصده ذلك الرجل المؤمن الذي جاء ينصح قومه كي يقنعهم بالإيمان والاهتداء بهؤلاء الرسل المهتدين" (81).

رابعاً: التصدير

التصدير: نصب الصدر في الجلوس، وصدّر كتابه: جعل له صدراً، والتّصدير: حزام الرحل والهودج (82).

والتصدير: هو أن تكون لفظة الفاصلة بعينها تقدّمت في أول الآية، ويسمى: **رد العجُز على الصدر، وقيل: هو ثلاثة أقسام** (83):

الأول: توافق آخر الآية وآخر كلمة في الصدر، نحو قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ (84).

الثاني: أن يوافق أول كلمة منه نحو: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ (85).

الثالث: أن يوافق بعض كلماته نحو: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ (86).

ويرد على أحكام ابن الصائغ جملة من الملاحظات، أهمها:

1. تركيز ابن الصائغ في استقرائه للأحكام والظواهر على دورها الإيقاعي في تحقيق تناسب الفواصل.
2. إهمال وإغفال الدور المعنوي أو التعبيري الماثل في تناسب الفاصلة بهذا الحكم أو ذاك مع الآية التي ذيّلتْ بها والسياق الذي وردت فيه (87).
3. الإشارة النظرية للدور المعنوي لتناسب الفواصل بقوله: "لا يمنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه" (88) لم تشفع بتطبيقات؛ حيث "لم يتوقّف إزاء آية واحدة من الآيات التي استشهد بها، والتي بلغت بضعاً وستين آية كي يبين في إيثار فاصلتها على النحو الذي وردت به وجهاً آخر سوى مراعاة المناسبة، الأمر الذي يدل بوضوح على أن هذه المراعاة في نظره هي عمدة خروج الفواصل في تلك الآيات عن الأصل، هذا فضلاً عن أن في تصدير تصريحه السابق بعبارة: "لا يمنع..." ما يشي بأن بعض هذه الفواصل في نظره – إن لم يكن أكثرها – لا وجه للخروج عن الأصل فيها إلا تلك المراعاة" (89).

خلاصة ونتائج:

وقد خلص البحث إلى النتائج التالية:

1. إن الفاصلة في القرآن الكريم لم تكن مجرّد حلية لفظية، وإنما كانت ضرورة اقتضاها المعنى وألحّ في طلبها.
2. إن الفاصلة القرآنية تؤدي وظيفتين، وتحقق فائدتين؛ فائدة صوتية إيقاعيّة، تعزز الانسجام الموسيقي، وفائدة معنويّة، تراعي ما يقتضيه التعبير والمعنى.
3. إن مخالفة المباني للمعاني في الأسلوب القرآني تأتي لأغراض معنوية، وللتناسب الإيقاعي، وبذلك يجمع بين الوفاء بحق المعنى وحق الصياغة اللفظية.
4. أن القرآن يخص الكلمات الواقعة فاصلة بالعناية، فيراعى في اختيارها أن تكون صالحة لأداء المعنى المراد، ولتناسب الفواصل في الآن نفسه.

5. تصادف الباحث في كتب التفسير إشارات كثيرة إلى تأثر تركيب الآية أو الجزء الأخير منها بمراعاة تناسب الفواصل، كما يصادف التأكيد فيها على أن التناسب في ذلك أمر مقصود في النظم القرآني، وأن مراعاة ذلك يقضي بالعدول عن التركيب العادي إلى تراكيب أخرى تجمع بين الوفاء بحق المعنى، وحق التناسب الإيقاعي.
6. إن القرآن لا يختار الكلمة أو الأسلوب أو العبارة مراعاة لتناسب الفواصل فحسب، ولا لبلاغة المعنى فقط، بل الذي يليق بكماله وجلاله أن يقال: إنه يختار ما يختار من ذلك لأنه الأبلغ في موضعه، والأوفق في نسقه.
7. تأتي الفاصلة القرآنية متمكنة في موقعها، مستقرة في مكانها، يتعلّق معناها بمعنى الآية بحيث لو طرحت أو غُيّرتْ اختلّ المعنى وفسد النظم؛ لأنها لم تكن مجرد حلية لفظية، بل جزء أصيل من البناء المحكم للعبارة.

الهوامش:

(1) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1973م، ص3.

(2) محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، تقديم: محمد خلف الله أحمد، مكتبة الشباب.ص243، 244. وينظر: محمد كريم الكواز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1426هـ، ص338.

(3) لا وجود لهذا النصّ في كشاف الزمخشريّ الذي بين أيدينا، ووصف السيوطي لكشاف الزمخشري بالقديم، ربما يشير إلى أن ثمة نسخة أخرى للكشاف لم تصل إلينا.

(4) سورة البقرة، من الآية (4).

(5) جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ، 1988م، 42/1.

(6) علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، جمع وتعليق: محمد خلف الله وزغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1387هـ. ص91.

(7) علم الدين السخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء، تح: د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مطبعة المدني، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1987م. 2/ 553.

(8) ينظر: فاضل صالح السامرائي ،التعبير القرآني، دار عمار، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 2002م. ص217، 218. وينظر: عهود عبد الواحد، السور المدنيّة، دراسة بلاغية وأسلوبيّة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 1999م، ص144.

(9) علي بن عيسى الرماني (مصدر سابق) ص89.

(10) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991م. ص270.

(11) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت. لبنان، 1988 م. 53/1.

(12) محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، الأردن، 2000 م. ص29.

(13) الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله (مصدر سابق) 54/1.

(14) سورة فصلت، الآية (3). وينظر: البرهان 54/1.

(15) أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم (19)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1992م. ص351.

(16) محمد زغلول سلام، (مصدر سابق) ص242.

(17) ينظر: الحسناوي محمد (مصدر سابق) ص138.

(18) الزركشي بدر الدين (مصدر سابق) 54/1.

(19) المصدر نفسه 54/1.

(20) هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن الزمردي، المتوفى سنة 776 هـ، نسبت إليه كتب التراجم العديد من المؤلفات في النحو والحديث والفقه، (وكتابه هذا لا يزال مفقوداً حتى الآن). ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان 248/6.

(21) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر. 296/3.

(22) أحمد أبو زيد (مرجع سابق) ص356، 357.

(23) سورة العصر، الآيتان (1، 2). وردت في سورة فواصلها: (العصر، خسر، الصبر) فأدت المعنى المراد وكانت مناسبة للفواصل التي وقعت بينها.

(24) سورة الطلاق، الآية (9). الفواصل في هذه السورة تجري على هذا النحو: (أمراً، مخرجاً، قدراً، يسراً، أجراً، نكراً، خسراً).

(25) سورة نوح، من الآية (21). فواصل هذه السورة فيما يكتنف الآية التي انتهت بهذا اللفظ تجري على هذا النحو: (جهاراً، إسراراً، غفاراً، أنهاراً، أطواراً، نباتاً، إخراجاً، بساطاً، فجاجاً، خساراً، كباراً).

(26) سورة النساء، من الآية (119). لم يكن المصدر (خسراناً) فاصلة في هذا الموضع

(27) سورة الإسراء، الآية (45).

(28) سورة مريم، من الآية (61).

(29) سورة الشورى، من الآية (48).

(30) سورة الطارق، الآيتان (10، 11).

(31) ينظر: أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف،، تفسير البحر المحيط، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م. 8/ 450، 451، مروي عن ابن عباس، وفيه أقوال أُخر.

(32) سورة الجن، من الآية (1).

(33) ينظر: أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (مرجع سابق) 8/ 340.

(34) أحمد أبو زيد (مرجع سابق) ص361.

(35) الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله (مصدر سابق) 1/ 60. وهذا الذي ذكره قريب مما نقله السيوطي عن ابن الصائغ وقد تقدّم نصه. وينظر: السيوطي جلال الدين (الإتقان) (مصدر سابق) 296/3.

(36) سورة طه، من الآية (117).

(37) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس. 16/ 321.

(38) ينظر: أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، عناية وتصحيح: إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان. 1985م. 16/ 271.

(39) محمد بن أحمد الكلبي ابن جزي، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1983م. 3/ 20.

(40) سورة الفرقان، من الآية (74).

(41) ينظر: أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، (مصدر سابق) 19/ 53. قال الزمخشري: "أراد أئمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ سورة غافر، من الآية (67)". محمود بن عمر الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تصحيح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي. 3/ 296.

(42) أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، (مصدر سابق) 19/ 53.

(43) ينظر: محمود بن عمر الزمخشري (مصدر سابق)3/ 296. و أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، (مصدر سابق) 19/ 53.

(44) أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، (مصدر سابق) 19/ 53. وينظر: محمود بن عمر الزمخشري (مصدر سابق) 3/ 296.

(45) سورة الرحمن، الآية (46).

(46) وفي هذا خلاف، فهل هما جنتان على الحقيقة؟ قال بذلك جماعة من المفسرين، منهم مقاتل قائلاً: هما جنة عدن وجنة النعيم، أم جنة واحدة، وإنما ثُنّيَتْ الجنة لرؤوس الآي؟ وهو قول الفراء. وقد أنكر عليه القتبي هذا الرأي قائلاً: " لا يجوز أن يقال خزنة النار عشرون، إنما قال تسعة عشر لمراعاة رؤوس الآي"، وأنكر أبو جعفر النحاس أيضاً على الفراء قوله هذا قائلاً: "وهذا القول من أعظم الغلط على كتاب الله عز وجل، يقول الله عز وجل (جنتان) ويصفهما بقوله: (فيهما) فيدع الظاهر ويقول: يجوز أن تكون جنة ويحتج بالشعر..." ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان،ط1، 2006. 20/ 149. والآية على هذا القول لا شاهد فيها.

(47) سورة البقرة، من الآية (87).

(48) محمود بن عمر الزمخشري (مصدر سابق) 1/ 162، 163.

(49) جلال الدين السيوطي (الإتقان) (مرجع سابق) 2/ 100.

(50) ليس الترتيب خاصاً بين ركني الإسناد (المسند، المسند إليه) فحسب، بل قد يكون بين المتعلقات داخل التركيب، والمعيار في ذلك هو المعنى.

(51) سورة الفاتحة، الآية (5).

(52) محمود بن عمر الزمخشري (مصدر سابق) 1/ 117.

(53) محقق الكشاف، الشيخان: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوّض..

(54) محمود بن عمر الزمخشري (مصدر سابق) هامش: (1)، 1/ 117. قوله: "وغير ذلك" فيه إشارة للتناسب الإيقاعي؛ فقد نازع الزمخشري – في الاختصاص – أبو حيان، وذكر أن كلامه زعم مردود عليه، مبيناً أن التقديم للاعتناء والاهتمام بالمفعول. ينظر: البحر المحيط 1/ 141، ولا تعارض بين الاختصاص والاعتناء والاهتمام، على رأي الدكتور أبو موسى؛ لأن "النكات لا تتزاحم". محمد محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة. مصر، ط2، 1988م. ص340.

(55) حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي، تأصيل وتقييم، مكتبة الإيمان، المنصورة، جمهورية مصر العربية، ط2، 2004م.ص105.

(56) عبد القاهر الجرجاني، ، دلائل الإعجاز، تحقيق وتقديم: د. محمد الداية، ود. فايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، سوريا، 1987م. ص162.

(57) سورة الضحى، الآية (3).

(58) ينظر: أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1، 2000م. ص335، وسعد الدين التفتازاني، المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1، 2001م.، وقال صاحب المطوّل: "ولا مزاحمة بين هذا وقول الكشاف أن الحذف للاختصار وظهور المحذوف؛ إذ لا تزاحم في النكات، والأولى بالاعتبار في هذا المقام ما ذكره صاحب الكشاف؛ إذ الحذف للرعاية على الفاصلة لا مدخل له في البلاغة؛ لأنه لتحصيل الفاصلة التي هي من المحسنات البديعية، فذكره

في علم المعاني إنما يصح على سبيل الاستطراد، وربما تدعو رعاية الفاصلة إلى الذكر". إبراهيم بن محمد بن عربشاه، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق وتعليق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1، 2001م.1/ 524، وينظر: محمود بن عمر الزمخشري (مصدر سابق) 4/ 766.

(59) الهجر: لا يكون إلا للحبيب، أما البغض: فهو للخصوم والأعداء. ينظر: محمود بن عمر الزمخشري (مصدر سابق) 4/ 766.

(60) ينظر: عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن، دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية 1/ 35.

(61) سورة المؤمنون، الآيتان (12، 13)، ومن الآية (14).

(62) سورة المؤمنون، من الآية (14).

(63) ينظر: جلال الدين السيوطي (الإتقان) (مصدر سابق) 2/ 953. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب: من اسمه عبد الرحمن، حديث رقم (4657)، سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، جمهورية مصر العربية 56/5. قال في مجمع الزوائد: وفيه جابر الجُعفي وهو ضعيف وقد وُثِّق، وبقية رجاله رجال الصحيح، باب: سورة المؤمنون، حديث رقم (11187). ينظر: أبو الحسن نور الدين علي الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1414هـ، 1994م. 7/ 72.

(64) ينظر: جلال الدين السيوطي (الإتقان)، (مصدر سابق) 2/ 953. وينظر: أحمد أحمد بدوي من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، جمهورية مصر العربية، 2004م. ص64 وما بعدها.

(65) سورة البقرة، من الآية (209). والآية بتمامها: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾.

(66) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (مصدر سابق) 1/ 78.

(67) وهذا ما تفطّن إليه الأعرابي، بوحي من ذوقه وإحساسه باللغة في القصة آنفة الذكر.

(68) ينظر: أحمد أبو زيد (مرجع سابق) ص369.

(69) ينظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (مصدر سابق)1/ 78.

(70) وهو أن تكون القافية متعلقة بما تقدّم من معنى البيت تعلّق نظم له وملاءمة لما مرّ فيه. ينظر: إنعام عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م. ص8.

(71) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (مصدر سابق)1/ 79.

(72) سورة الأحزاب، الآية (25).

(73) ينظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (مصدر سابق) 1/ 79.

(74) ينظر: إنعام عكاوي (مرجع سابق) ص452.

(75) ينظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (مصدر سابق) 1/ 95.

(76) سورة المؤمنون، من الآية (14).

(77) سورة يس، الآية (37).

(78) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (مصدر سابق) 1/ 95.

(79) ينظر: إنعام عكاوي (مرجع سابق) ص249، و بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (مصدر سابق) 1/ 96.

(80) سورة يس، الآية (21).

(81) حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي (مرجع سابق) ص161.

(82) ينظر: إنعام عكاوي (مرجع سابق)ص361.

(83) ينظر: نفسه ص361 – 363، وينظر: محمد الحسناوي (مصدر سابق) ص289، 290.

(84) سورة النساء، الآية (166).

(85) سورة آل عمران، من الآية (8).

(86) سورة الأنعام، الآية (10).

(87) جدير بالذكر أن ابن الصائغ لم يتفرّد بإغفال القيمة التعبيرية لمثل تلك الظواهر التي تماثلت بها بعض الفواصل القرآنية، بل لقد شاركه في ذلك وسبقه إليه غير واحد من البلاغيين والمفسّرين، حيث توقفوا في توجيه كثير منها عند مجرد الإشارة إلى أثرها في رعاية الفاصلة أو إيقاع المناسبة بين الفواصل. ينظر

على سبيل المثال لا الحصر: أبو يعقوب يوسف السكاكي (مصدر سابق) ص335. وضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا. بيروت، 1995م. 2/ 36، 37، والخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. ص118، و بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (مصدر سابق)1/ 61.

(88) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (مصدر سابق) 2/ 952.

(89) حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن، قضايا ومباحث، مكتبة الإيمان، المنصورة، جمهورية مصر العربية، 2005م. ص54، 55.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم بالرسم العثماني على ما يوافق رواية حفص عن عاصم.

1. إبراهيم بن محمد بن عربشاه ، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تح وتع: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1، 2001م.
2. أبو بكر محمد الباقلاني ، إعجاز القرآن، شر وتع: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991 م.
3. أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة: رسائل وأطروحات رقم (19)،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية. 1992م.
4. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، جمهورية مصر العربية، 2004م.
5. إنعام فوّال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996م.
6. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تق وتع: د. مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

7. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ، 1988م.
8. حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن، قضايا ومباحث، مكتبة الإيمان، المنصورة، جمهورية مصر العربية، ط1، 2005م.
9. حسن طبل ، علم المعاني في الموروث البلاغي، تأصيل وتقييم، مكتبة الإيمان، المنصورة، جمهورية مصر العربية، ط2، 2004م.
10. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان.
11. الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، تح وتق: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا. بيروت، ط1، 2002م.
12. سعد الدين التفتازاني ، المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1، 2001م.
13. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
14. أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح وتخ: السيّد محمد السيّد و سيّد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة، جمهوريّة مصر العربية، 2005م.
15. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا. بيروت، 1995م.
16. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، جمهورية مصر العربية، ط7.
17. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح و تع: د. محمد رضوان الداية، ود. فايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق سوريا، ط2، 1987م.

18. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن، ، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط2، 1973 م.
19. علم الدين السخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء، تح: د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مطبعة المدني، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1987م.
20. علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، جمع وتعليق: محمد خلف الله وزغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1387هـ.
21. أبو الحسن نور الدين علي الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، جمهورية مصر، 1994م.
22. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الآفاق الجديدة، بيروت. لبنان.
23. عهود عبد الواحد، السور المدنيّة، دراسة بلاغية وأسلوبيّة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 1999م.
24. فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط2، 2002 م.
25. محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان، ط4، 1983م.
26. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان،ط1، 2006 م.
27. محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 2000م.
28. محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، إلى آخر القرن الرابع الهجري، تقديم: محمد خلف الله أحمد، مكتبة الشباب.
29. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
30. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت. لبنان، 1988 م.

31. محمد كريم الكواز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1426 هـ.

32. محمد محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة. مصر، ط2، 1988م.

33. أبو حيان محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1، 1993م.

34. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تصحيح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي.

35. أبو يعقوب يوسف السكاكي ، مفتاح العلوم، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1، 2000م.